

محاضرات مقرر

مناهج تفسير القرآن الكريم

الفرقة الأولى

القسم : اللغة العربية وآدابها .

د/ أحمد خميس شتيه

مدرس الدراسات الإسلامية

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة دمنهور



منهج التفسير بالرأي

معناه : " يطلق الرأي على الاعتقاد ، وعلى الاجتهاد ، وعلى القياس ، ومنه : أصحاب الرأي ، أي : أصحاب القياس ، والمراد بالرأي هنا الاجتهاد ، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها ، واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر " (١)

أقسام التفسير بالرأي :

تبعاً لما مر ذكره من تعامل المفسر مع النص وشخصه من حيث توافر شروط التفسير أو عدمها ، تبعاً لذلك قسم الباحثون التفسير بالرأي قسمين :

الأول : التفسير المحمود بالرأي الثاني : التفسير المذموم بالرأي

١- التفسير المحمود بالرأي :

وهو محمود لخلوه من الهوى ، وسلام صاحبه من الخلط ، " وهو التفسير المستمد من القرآن ومن سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية ، خبيراً بأساليبها ، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها " (٢)

موقف أهل العلم من تفسير القرآن بالرأي :

قال الشيخ الذهبي في (التفسير والمفسرون) : " اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأي ، ووقف المفسرون بإزاء هذا الموضوع موقفين

(1) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج١ ص ١٨٣

(2) فهد الرومي - أصول التفسير - ص ٧٩

متعارضين : فقوم تشدوا في ذلك فلم يجروا على تفسير شيء من القرآن ، ولم يبيحوا لغيرهم وقالوا : لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن ، وإن كان عالما أدبيا متسعا في معرفة الأدلة ، والفقه والنحو والأخبار والآثار ، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة - رضي الله عنهم - أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين " ، وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك ، فلم يروا بأسا من أن يفسروا القرآن باجتهادهم ، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده " (٣)

أدلة المانعين التفسير بالرأي على العموم ورد المجيزين عليها :

وهنا نذكر ما استدل به من منع التفسير بالرأي على الإطلاق دون تمييز بين محمود ومذموم ، وخلاصة أقوالهم أن التفسير بالرأي " قول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم منهي عنه ، فالمفسر بالرأي ليس على يقين بأنه أصاب ما أراد الله - تعالى - ، ولا يمكنه أن يقطع بما يقول ، وغاية الأمر أنه يقول بالظن ، والقول بالظن قول على الله بغير علم " (٤)

الدليل الأول :

استدل المانعون على هذا المعنى بقول الله - عز وجل - : (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة: ١٦٩ ، وقوله - تعالى - : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (الإسراء ٣٦ ، وقد رد المجيزون على هذا الرأي فبيّنوا أن ما وجد فيه نص قاطع من نصوص الشرع يفسر معانيه كان الاجتهاد معه ممنوعا

الدليل الثاني للمانعين :

(٣) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج ١ ص ١٨٣

(٤) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج ١ ص ١٨٣

استدل المانعون على منع التفسير بالرأي مطلقا كذلك بقول الله - عزوجل - :
(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) النحل : ٤٤ ، فأروا في الآية دليلا
على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وحده هو من أوكل الله - عزوجل - له
مهمة بيان معاني القرآن الكريم ، لذا رأوا أنه لا يجوز لغيره - صلى الله عليه وسلم -
القيام بذلك .

وقد رد المجيزون للتفسير بالرأي الدليل السابق فبينوا أن هذا الرأي غير صحيح
باطراد ، فقالوا : " نعم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - مأمور بالبيان ، ولكنه لم
يبين كل شيء قبل وفاته ، فما ورد بيانه عنه - صلى الله عليه وسلم - ففيه الكفاية
، وما لم يرد عنه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ، فيستدلون بما ورد بيانه على ما
لم يرد ، والله - تعالى - يقول في آخر الآية : (ولعلمهم يتفكرون) " (٥)

الدليل الثالث :

استدل المانعون أيضا ببعض ما ورد في السنة النبوية الشريفة على تحريم القول
بالرأي ، من تلك الأدلة ما رواه الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن
كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من
النار) (٦)

وقد رد المجيزون على المانعين فيما يتعلق بفهم معنى (التفسير بالرأي) بأن
النهي في الحديث الشريف " محمول على من قال برأيه في نحو مُشكّل القرآن
ومتشابهه ، من كل ما لا يُعلم إلا عن طريق النقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

(5) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج ١ ص ١٨٤

(الترمذي - سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه - حديث رقم ٢٩٥١ - ج ٥

(6) ص ١٩٩ - قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح

وسلم - والصحابة - عليهم رضوان الله - ، أو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد بالرأي هنا الرأي الذي لا يستند إلى دليل، أما كان مستندا إلى دليل فالقول به جائز ، أو أن النهي محمول على من يفسر القرآن مقتصرًا على ظاهر اللفظ العربي بلا رجوع للنصوص الشرعية كأخبار الصحابة الذين شهدوا التنزيل ، ودون إمام بغريب القرآن ، ودون إمام بأدوات المفسر الأخرى التي سبق التعرض لها ، وغير ذلك من الأدلة " (٧)

حكم التفسير المحمود بالرأي :

لقد تقبل أهل العلم هذا النوع من التفسير بالرأي ، لاستناده إلى معارف المفسر المشار إليها سلفًا من اللغة ونصوص الشريعة ، وخلوه من الهوى والميل الاعتقاديين ، وساقوا على هذا القبول جملة من الأدلة منها :

قوله - تعالى - : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) القمر ١٧

وقوله تعالى : (أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) محمد ٢٤

ذكر بعض التفاسير المعتمدة على منهج الرأي :

١- تفسير البيضاوي :

اسم التفسير : أنوار التنزيل وأسرار التأويل

نبذة عن المفسر :

هو : " الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، أبو سعيد أبو الخير ناصر الدين البيضاوي ، من قرية يقال لها البيضاء من بلاد فارس ، ولي القضاء بشيراز ، فسر القرآن ، وألف في كثير من الفنون ، كان إمامًا عالمًا عارفًا بالفقه

والتفسير وأصول الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق ، وكان عالما بفنون المناظرة وآداب المناقشة ، صالح السلوك ، مجتهدا في العبادة ، زاهدا في متاع الدنيا ، شافعي المذهب " (٨)

تفسيره :

من الضروري للباحث أن يعلم أن تفسير الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - تفسير مختصر من تفسير (الكشاف) للزمخشري ، إلا أنه نقاه - إلى حد كبير - من الفكر الاعتزالي الذي تميز به الزمخشري وأثبتته في الكشاف .

منهجه :

حوى تفسير البيضاوي في تعرضه للآيات على بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين كشواهد في بيان معاني الآيات ، كما كان يهتم بذكر الأوجه النحوية والإعرابية ، ويذكر - في بعض المواطن - قراءات الآي ، إلا أنه لم يفرق في ذكرها بين الصحيح المتواتر من القراءات وما شذ منها ، " كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع " (٩)

وتفسير البيضاوي تفسير مختصر ، مركز الأفكار ، جمع في التعامل مع آيات القرآن بين شتى الفنون الممكنة مستعينا بها على بيان معاني الآي ، فتناول النحو والفقه ، وأصول الفقه كذلك .

العلماء وتفسير البيضاوي :

(٨) منيع عبد الحليم محمود- مناهج المفسرين - ص ٢٤١ بتصرف

(٩) السابق : ج ١ ص ٢١٣

تكلم كثير من العلماء عن تفسير البيضاوي مبينين جوانبه المميزة له ، وكان في طليعتهم الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - حيث ألف حاشية على تفسير البيضاوي ، وقد تحدث السيوطي في مقدمة حاشيته عن التفسير فقال ما نصه :

" إن القاضي البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد ، وأتى بكل مستجد ، وماز فيه أماكن الاعتزال ، وطرح موضع الدسائي وأزال ، وحرر مهمات ، واستدك تنمات ، فظهر كأنه سبيكة نضار ، واشتهر اشتهاه الشمس في رابعة النهار ، وعكف عليه العاكفون ، فأكب عليه العلماء تدريساً ومطالعة ، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارة " (١٠)

نماذج من تفسير البيضاوي :

- تفسيره قوله تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) البقرة : ٢٥٧

قال البيضاوي : " لا قياما كقيام المصروع ، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخطب الإنسان فيصرع ، ثم يفسر المس بالجنون ويقول : وهذا أيضا من زعمهم أن الجنى يمس الرجل فيختلط عقله " (١١)

٢- تفسير الجلالين :

المؤلف : جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، أما جلال الدين المحلي فهو " جلال الدين ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي ، تفتازاني العرب ، الإمام العلامة ، قال في (حسن المحاضرة) : " ولد بمصر سنة

(10) منيع عبد الحليم محمود - مناهج المفسرين - ص ٢٤٣ نقلا عن تفسير البيضاوي

(11) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج ١ ص ٢١١ نقلا عن تفسير البيضاوي

٧٩١هـ (إحدى وتسعين وسبعمائة) ، واشتغل وبرع في الفنون فقها ، وكلاما ، وأصولا ، ونحوا ، ومنطقا وغيرها " (١٢)

ولاشتركا في تفسيره سمي بالجلالين ، وقد ذكرت بعض المصادر أن تفسير الجلالين من أوله إلى آخر سورة الإسراء هو من تأليف جلال الدين المحلي ، ثم أكمل السيوطي ما تبقى منه ، غير أن الذهبي عارض في (التفسير والمفسرون) ما ذكر في كشف الظنون فقال : " أما جلال الدين المحلي فقد ابتداء تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ، ثم ابتداء بتفسير الفاتحة ، وبعد أن أتمها اخترمته المنية فلم يفسر ما بعدها ، وأما جلال الدين السيوطي ، فقد جاء بعد الجلال المحلي فأكمل تفسيره " (١٣) ، ونحن نميل إلى رأي الذهبي لنقله عن ثقة ألف حاشية على تفسير النيسابوري هو الشيخ سليمان الجمل ، فالنقول عنه أثبتت ما ذهب إليه الذهبي ، وهو ما لا يتسع المقام لذكره .

منهجه :

اتفق المصنفان (المحلي والسيوطي) على منهجية واحدة في التعامل مع آيات القرآن الكريم ، وإن أهم سمة تميز هذا التفسير هي : الإيجاز مع الدقة ، والمراد هو قلة الألفاظ مع بيان المعنى المطلوب ، وقد اشترك المصنفان في هاتين السمتين لدرجة أن اعتبر البعض أن لا فرق بينهما ، قال الذهبي : " لا شك أن الذي يقرأ تفسير الجلالين لا يكاد يلمس فرقا واضحا بين طريقة الشيخين فيما فسراه ، ولا يكاد يحس بمخالفة بينهما في ناحية من نواحي التفسير المختلفة " (١٤)

(12) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج ١ ص ٢٣٧

(13) السابق : ج ١ ص ٢٣٨

(14) الذهبي - التفسير والمفسرون - ج ١ ص ٢٣٩

فقد تشابهت طريقة تناول الرجلين للآي ، فكلاهما كان يعتمد على مبدأ الإيجاز في العبارة، والدقة في انتقاء الألفاظ المترجمة عن معاني كلام الله - تعالى - ، ثم في الاعتماد على أرجح الآراء والأقوال ، ثم إذا تعسر الفهم أو تعذر لجأ إلى إعراب ما يُحتاج إلى إعرابه، ثم يعرجان على القراءات باختصار .

قيّمته :

وقد أثنى أهل العلم على تفسير الجلالين ، وصنف فيه الكثيرون الشروح والحواشي ، واعتمد بعضهم عليه في بيان معاني القرآن الكريم ، قال الزرقاني في (مناهل العرفان) : " تفسير الجلالين كتاب قيم سهل المأخذ إلى حد ما مختصر العبارة كثيرا يكون أعظم التفاسير انتشارا ونفعا ، وإن كان أصغرها أو من أصغرها شرحا وحجما تداولته طبقات مختلفة من أهل العلم وغيرهم وطُبع طبعات كثيرة متنوعة ، طُبع مرة واحدة مجردا وأخرى بحاشية المصحف وثالثة مع حاشية الصاوي ورابعة مع حاشية الجمل وأوسع حواشيه حاشية الجمل ، والعجيب أن كثيرا من فطاحل العلماء كانوا يختارونه لأعلى دراسة عرفت في التفسير كمادة أساسية يدورون حولها ويستلهمون وحيا حتى إن دروس التفسير الشهيرة للعلامة المرحوم الشيخ محمد عبده كانت مادته فيها تفسير الجلالين على ما سمعت " (١٥)

نماذج ونصوص من تفسير الجلالين :

النموذج الأول نأخذه من سورة الأنفال ، وهي من الجزء الذي أثبت الناقلون أنه من تأليف جلال الدين المحلي ، وننقل هنا تفسيره قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۖ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَانْقُضُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

قال المحلي : " لَمَّا اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَنَائِمِ بَدْرَ فَقَالَ الشُّبَّانُ : هِيَ لَنَا لِأَنَّنَا
بَاشَرْنَا الْقِتَالَ وَقَالَ الشُّيُوخُ : كُنَّا رِدَاءً لَكُمْ تَحْتَ الرِّايَاتِ وَلَوْ انْكَشَفْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا فَلَا
تَسْتَأْثِرُوا بِهَا فَنَزَلَ :

"يَسْأَلُونَكَ : يَا مُحَمَّدَ ، "عَنِ الْأَنْفَالِ" : الْغَنَائِمِ لِمَنْ هِيَ ، "قُلْ" : قُلْ لَهُمْ ، "الْأَنْفَالُ
لِلَّهِ" : يَجْعَلُهَا حَيْثُ شَاءَ ، "وَالرَّسُولُ" يَقْسِمُهَا بِأَمْرِ اللَّهِ فَقَسَمَهَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - بَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ
بَيْنِكُمْ" : أَيِ حَقِيقَةِ مَا بَيْنَكُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَتَرَكَ النَّزَاعَ ، "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ" حَقًّا " (١٦)

فهذا مثال من تعامل المحلي - رحمه الله - مع الآيات يغلب عليه الاختصار مع
بيان المراد بأوجز لفظ .

أبنائي وبناتي

وفقكم الله وحفظكم

ألقاكم بخير إن شاء الله